فنون

ميرنا الشدياق

50 عاماً في مهنة المتاعب... سلماً وحرباً
عبّاس سلمان: أنا سمكة خارج الماء إذا توقفت

صوره تختصر 50 عاما من تاريخ لبنان في السلم والحرب . حكايات ولقطات ارختها عدسة الزميل عباس سلمان منذ ان باشر مزاولة مهنة التصوير في جريدة "السفير" عام 1974، تاريخ تأسيسها. رحلته مع هذه المهنة كانت صعبة، حيث تعرض احيانا كثيرة للخطر. لكن يبقى التصوير بالنسبة اليه جزءا من حياته



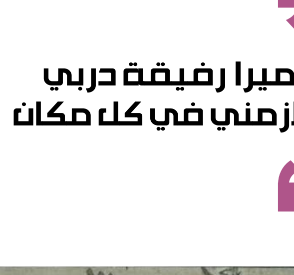
الكاميرا كانت رفيقة عمره، رافقته اينما ذهب، وهي لا تزال موجودة في منزله وداخل سيارته.. هي في كل مكان. هو "العين السحرية" كما وصفه الاستاذ طلال سلمان يوما، لافتا الى انه جاء الى "السفير" صبيا لا يتقن حرفة او مهنة، لكنه يهوى التصوير. وجد سلمان في الزملاء الذين تعاقبوا على ادارة قسم التصوير، مَن يرعاه ويعلمه اصول هذه المهنة الحساسة.

باشر العمل خائفا، متابعا انجازات زملائه، مستمعا الى مناقشاتهم مع ادارة التحرير حول الزاوية، الموضوع، البورتريه، والقدرة على الافادة من قدرات الكاميرا والعدسات السحرية.

كانت عينه كالرادار، تلتقط المضمر او المعنى اكثر من تركيزها على المألوف والمعتاد. استفاد من خبرات زملائه في السفير وخارجها، واستمع الى نصائح المخضرمين حتى بات معه ومنهم.

كثيرا ما تعرض سلمان وعرض معه زملاءه لاشتباكات مع بعض النافذين والاقطاب، ممن يريدون ان يخفوا ما يبطنونه ولا يظهرون الا ما يحسن صورتهم عند الناس.

لا يزال سلمان يزاول مهنته بشغف، مكررا ان الحظ يلعب دوره مع المصور، لكن في الوقت نفسه يجب عليه ان يبادر وان يجهد للحصول على صورة مميزة. 50 عاما في المهنة تحدث عنها سلمان الى "الامن العام"، لافتا الى الصعوبات التي واجهته خلال مسيرته.



الكاميرا رفيقة دربي وتلازمني في كل مكان


الرئيس رشيد كرامي يقدم الى عباس سلمان جائزة عن صورة الطفل يأكل الهوية.

■ 50 عاما في مهنة التصوير، ما هي ابرز المحطات في ايام السلم والحرب؟

□ البداية كانت في 1974/1/1، بعدما انتقلت من دراستي في الثانوية العامة الى جريدة "السفير" التي تربطني صلة قرابة مع صاحبها وناشرها الاستاذ طلال سلمان. فعليا، انضممت اليها في اواخر عام 1973 حيث كانت في مرحلة اصدار الاعداد الصفر وتجهيز المكاتب. عندما صدر العدد الاول كنت من ضمن فريق العمل، فتدربت فيها على التصوير والتحميض بالابيض والاسود. بداية، تعلمت كيفية تركيب دواء التحميض والطبع، ومن ثم تعلمت التصوير. تدربت على يد مجموعة من المصورين في الجريدة، من بينهم الراحل عبدالرزاق السيد. بعد سنتين من التدريب، ذهبت برفقة الاستاذ طلال سلمان الى المسجد الحرام حين تعرضت اقبيته لعملية تخريب، واقمنا اسبوعا في السعودية حيث توليت التغطية والتصوير داخل الاقبية. حين عدنا الى بيروت نشرت صوري على صفحتين في الجريدة، ومنذ ذلك الوقت تم الاعتماد عليّ كمصور ميداني. في الحرب الاهلية، كنت انقل يوميا ما يحصل من معارك من خلال صوري.



■ ما هي الصعوبات التي كانت تواجهك خلال التصوير في فترة الحرب، وما هي اهم الذكريات التي لا يمكن نسيانها؟

□ في تلك الفترة، خاطرت بحياتي على كل الجبهات وخطوط التماس. اذكر مثلا عندما كنت اصور في صنين المعارك بين الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية من جهة والكتائب والاحرار من جهة اخرى. كنت في محور متقدم للتصوير حيث كانت هناك مربض للكتائب، فتعرضنا للقصف فاضطررت انا ويوسف برجاوي الى الزحف


في اثناء المعارك.



صورة الطفل الذي يأكل الهوية في اثناء الاجتياح الاسرائيلي.


مع الاستاذ طلال سلمان في السعودية.

مسافة طويلة حتى لا يتم كشفنا. هذه المرحلة لا يمكن نسيانها، كذلك لن انسى ايضا عندما كان السوريون على خلاف مع الحركة الوطنية، وحادثة الطائرة التي كانت ستنقل الرؤساء صائب سلام ورشيد كرامي وكمال جنبلاط وكامل الاسعد، فتم قصف محيط المطار مما ادى الى خرق الشظايا للطائرة واخترقت شظية رجلي، فسالت الدماء بغزارة وتم نقلي الى المستشفى.

■ كيف كنت تتعامل مع الخطر الذي كان يحوط بك لاسيما في تنقلاتك؟

□ كنت اقول دائما ان الذي يحمل بندقية يحمي نفسه، اما انا فلم يكن معي سوى كاميرا. كنا نتوخى الحذر من ان لا يرصدنا القناص، ونتنقل من شارع الى آخر تحت تغطية من المسلح الذي يطلق النار على الجهة الاخرى حتى نتمكن من التنقل من مكان الى آخر للتصوير. لا شك في ان الحظ لعب دوره في تلك الفترة، خصوصا في ظل ما تعرضنا له من قنص. اذ ان مهنتنا تتطلب منا التنقل دائما لالتقاط الصور. كنت آتي من الخندق الغميق حتى التقط خلسة صورة لسينما الريفولي في ساحة البرج، متخطيا القناصة ومحاولا تفادي المعارك الدائرة. في محور عاليه - الكحالة، كان التحدي كبيرا اذا استطعنا التقاط صورة لكنيسة الكحالة. ولا انسى كيف توجهت من محور بعورته في منطقة عاليه سيرا على الاقدام لالتقاط صور للكنيسة، لكنني انكشفت وتعرضت لقصف مدفع الـ 155، الا انني تخطيت ذلك باعجوبة ونجحت في التقاط الصور. حين مر لبنان في فترة الاغتيالات والانفجارات، كنا نخاطر ايضا. وعلى الرغم من انهم كانوا يحذروننا من وجود عبوة ثانية، الا اننا لم نكن نهتم اذ ان هدفنا آنذاك كان نقل الحدث بعدستنا مهما كلف الامر. في الاجتياح الاسرائيلي كنت في الميدان ايضا. كذلك في اثناء مجزرة عناقيد الغضب وفي مجزرتي قانا الاولى والثانية. واكبت التحرير على طول الشريط الحدودي، وانهيت تغطيتي للحدث بالتقاط لحظة الانسحاب الاسرائيلي من معبر فاطمة، اذ كان هناك شريط شائك ودورية للمقاومة واخرى للاسرائيليين في مقابل بعضهما البعض. وعنونت "السفير" حينها: "بنادق المقاومة ترسم حدود فلسطين"، ففرضت الصورة في ذاتها خبرا و"مانشيت" للجريدة.

■ واكبت من خلال عملك القادة والسياسيين في الفترة السابقة ولا تزال، ما الذي اختلف؟

- ثمة فارق في الرهبة التي كان يفرضها سياسيو الحقبة السابقة كصائب سلام، كمال جنبلاط، رشيد كرامي وغيرهم. بنيت علاقات مع معظم السياسيين من خلال مهنتي، وكنت اتابع الاخبار اليومية في اثناء عملي في السفير، ونسجت علاقات في المقرات الرسمية. الكاميرا رفيقة دربي وهي تلازمني في كل مكان.

■ تقنيات التصوير اختلفت بين الماضي والحاضر كيف ترى هذا التطور؟

□ في يومنا الحاضر، اذا لم تعجبني صورة استطيع استبدالها. في السابق كنا نلتقط الصور ولم نكن نعلم كيف ستكون النتيجة عند الطباعة من حيث الالوان والاشياء الاخرى. لا شك في ان التطور كان للافضل.

■ عندما ترى صورة التقطتها على مواقع التواصل الاجتماعي من دون ذكر اسمك، كيف يكون شعورك؟

□ احزن كثيرا، لانني اكون قد تعبت في التقاطها. اعطيك مثلا، حصل اخيرا عند مشكلة التوقيت في البلد، ان التقطت صورة لساعة الحميدية امام السرايا الحكومية وساعة للكنيسة متقابلتين، فيما احداهما معطلة. نشرت الصورة على صفحتي ◄

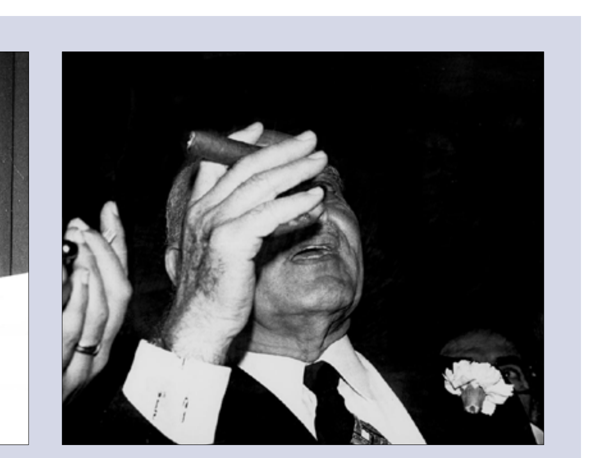
◄ في الفايسبوك، واذا بي اراها في مواقع اخرى وكان اسمي محذوفا ولم تنسب الي.

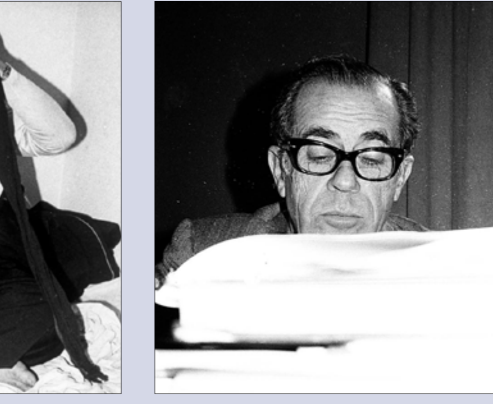
■ ماذا تعني لك هذه المهنة؟

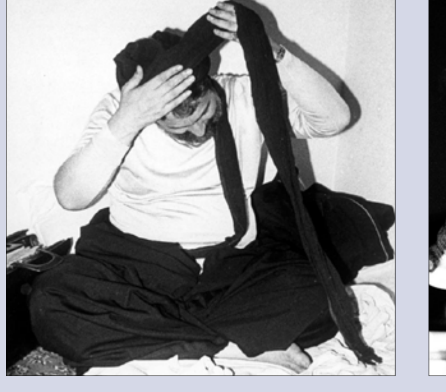
□ هي كل حياتي. كثر يقولون لي انني اصبحت في عمر يجب ان ترتاح فيه، لكن اذا اخرجوا السمكة من الماء تموت، كذلك انا. في حال تركت هذه المهنة اصبح مريضا، "انا هيك مبسوط، اركض واتعب واشقى وآكل من عرق جبيني، وما مد ايدي لحدا".

■ اين تعمل حاليا؟

□ بقيت في السفير حتى توقفت عام 2017، ثم عملت في مجلة اجنحة الارز وصورت كتابا عن السياحة الدينية في لبنان لمعالم اثرية لكنائس واديرة ومساجد من الناقورة للعاقورة. اقمت معرضا لصوري في السرايا رعاه الرئيس سعد الحريري الذي اقام احتفالا كبيرا، حضره رؤساء الطوائف الاسلامية والمسيحية. كما اهدى الكتاب الى كل رؤساء الطوائف والى عدد من الزوار الاجانب. عندما توقفت السفير حاولت استرجاع حياتي المهنية في مجلة "الامن العام"، ثم عملت فترة قصيرة في جريدة "اللواء" من دون مقابل، فقط لالتقاط الصورة التي ستنشر في الصفحة الاولى من الجريدة. قمت بكل ذلك حتى امارس حياتي المهنية الصحافية اليومية، والا لكنت فارقت الحياة. حاليا، اواكب كل الاحداث لمواقع اخبارية، وما زلت امارس المهنة الصحافية بشغف واتابع كل الاحداث على الارض.













■ كيف ترى وضع المصور في لبنان؟

□ هذه المهنة باتت شبه منقرضة، الا في الاماكن الرسمية او بعض المواقع. اي شخص اليوم يملك هاتفا خليويا يستطيع تصوير الحدث ونشر الصورة، فالخبر لا ينتظر. قديما كانت الصورة تتكلم وتسرد القصة، كصورة الطفل الذي كان يأكل الهوية اثناء الاجتياح الاسرائيلي وهي صورة معبرة لا تحتاج الى سرد كلامي برمزيتها ومعانيها. كنت نقيبا للمصورين على مدى سنتين، فاخذت النقابة مني معظم وقتي، فيما كنت لا ازال اعمل في "السفير"، لذلك قدمت استقالتي من النقابة وتفرغت لعملي في الجريدة.

■ كلمة اخيرة للمصورين المحترفين؟

□ اصبحنا مجموعة قليلة جدا لا تزال تمارس المهنة ميدانيا، وهي تضم حاليا حوالى 6 مصورين ما زلنا نعمل في المهنة منذ اكثر من 50 سنة، على الرغم من التعب الذي واجهناه. المهنة علمتني الكثير واعطتني الخبرة، وقد واكبت 7 عهود رئاسية منذ عهد الرئيس سليمان فرنجية و15 رئيس حكومة. هذا الامر ثقفني في حياتي، سياسيا وصحافيا. تطورت شخصيتي طوال سنوات عملي في هذه المهنة، واطلب من الله ان يعطيني الصحة لاكمل مسيرتي في هذه المهنة.







